Algerian Journal of Human and Social Sciences
المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN : 2588-1558 / EISSN : 2710-8635

المجلد:08/العدد:01
(جوان 2024) ص: 200-219

استراتيجية العلاج بالفن وأثرها في علاج التوحد الطفولي

Art Therapy Strategy and Its Impact on Childhood-Autism

رشا وصال صغيري [*1]، بوزيد قاسم [2]

Racha Ouissal SEGHIRI [*1], Bouzid KACEM [2]

[1] جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر (الجزائر)، **rachaouissal.seghiri@univ-constantine3.dz**

[2] جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر (الجزائر)، **Bouzidarts@gmail.com**

تاريخ الإرسال:2023/06/20 **تاريخ القبول: 2024/06/18** **تاريخ النشر: 2024/07/04**

ملخص:

لجأ الأطباء وعلماء النفس حديثا إلى استراتيجية جديدة وفعالة في علاج الأمراض النفسية والاضطرابات الذهنية والسلوكية للأطفال التوحديون وهي العلاج بالفن بمختلف أنواعه (رسم، موسيقى، رقص، مسرح...). لأنه يساعدهم على التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، ويشجعهم على مواجهة مشكلاتهم والتغلب عليها، وتنمية قدراتهم اللغوية، العقلية، الاجتماعية، الانفعالية، المعرفية والحركية، وتقوية إدراكهم الحسي والسمعي والبصري، وتواصلهم مع الآخرين وبالتالي اندماجهم في المجتمع.

ونظرا لهذه الأهمية والفعالية والفوائد للعلاج بالفن سنحاول في بحثنا التعرف على كيفية علاج التوحد الطفولي بالفن (فن الموسيقى وفن الرسم).

الكلمات المفتاحية: استراتيجية، علاج، فن، توحد، طفولي

Abstract

Doctors and psychologists have recently resorted to a new and effective strategy in treating mental illnesses and mental and behavioral disorders for autistic children, which is art therapy of all kinds (drawing, music, dance, theater...). Because it helps them express their feelings and thoughts, and encourages them to confront and overcome their problems, develop their linguistic, mental, social, emotional, cognitive and motor abilities, and strengthen their sensory, auditory and visual perception, and their communication with others and thus their integration into society. In view of this importance, effectiveness and benefits of art therapy, we will try in our research to identify how to treat childhood autism with art (the art of music and the art of painting).

Keywords: Strategy, therapy, art, autistic, childish

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة

يعتبر اضطراب التوحد أحد أهم الأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية التي يتعرض لها الطفل وأكثرها شيوعا في المجتمع، حيث لاقى اهتماما كبيرا في الدراسات والأبحاث من طرف الأطباء والمتخصصين، الأمر الذي جعله يمر بالعديد من الأطوار من أجل تحديده وتشخيصه وعلاجه، فقد تعددت التدخلات والطرق العلاجية مع الأطفال التوحديون كفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة تعاني من مشكلة التواصل اللغوي والاجتماعي، يرفض فيها المريض أي نوع من الاتصال والتفاعل الطبيعي الاجتماعي حتى لو كان بسيطا، وبالتالي عدم قدرته على الانخراط والادماج في المجتمع .

وقد استخدم العاملون في مجال العلاج النفسي العديد من الطرائق الاستراتيجية العلاجية النفسية والتي غالبا ما تعود إلى نظريات ومدارس نفسية بحتة وتقوم على إيجاد العديد من التقنيات والاستراتيجيات النفسية التي يمكن للمعالج استخدامها مع طالبي الخدمة النفسية، والتي تساعد بشكل كبير في العلاج النفسي للمريض منها العلاج بالفن مهما كان نوعه (موسيقى، رسم، نحت، رقص...).

وهو من أكثر الطرق فعالية في علاج الاضطرابات السلوكية والنفسية التي يعاني منها الأطفال التوحديون لأنه يساعدهم على مواجهة مشكلاتهم والتغلب عليها، باعتباره بديلا عن اللغة يقوم على أساس التنفيس عن اللاشعور في عملية التعبير الفني، ويقوم بدور التشخيص والتنبؤ والعلاج، فهو يلعب دور الوسيط لتنمية وتعليم الكثير من طرق التواصل مع البيئة المحيطة بهؤلاء الأطفال .

وهذا ما يدفعنا للتساؤل الرئيسي التالي: كيف يقوم الفن بعلاج اضطراب التوحد الطفولي؟

2. تعريف العلاج بالفن Art Therapy

يعرف حامد زهران العلاج بالفن على أنه "طريقة تقوم على تناول واستخدام وسائل التعبير الفني التشكيلي وتوظيفها بأسلوب منظم ومخطط، لتحقيق أغراض تشخيصية وعلاجية وتنموية، في أنشطة فردية أو جماعية، حرة أو مقيدة، وذلك وفقا لأهداف خطة العلاج وتطور مراحلها وأغراض المعالج وحاجات المريض" (زهران، 2001، صفحة 378).

ويشير عبد المطلب القريطي بأنه " من المجالات المهنية والأكاديمية حديثة العهد نسبيا، وهو يقوم على تطويع الأنشطة الفنية التشكيلية، وتوظيفها بأسلوب منظم ومخطط، لتحقيق أغراض تشخيصية وعلاجية تنموية نفسية عن طريق استخدام الوسائط والمواد الفنية الممكنة في أنشطة فردية أو جماعية، مقيدة (موجهة) أو حرة (اختيارية)، وذلك وفقا لأهداف الخطة العلاجية وتطور مراحلها وأغراض كل من المعالج وحاجات العميل ذاته" (القريطي، 1995، صفحة 241).

أما جمعية العلاج بالفن الأمريكية AMERICAN ART THERAPY ASSOCIATION فتعرفه بأنه "الفرصة للتعبير والتواصل غير اللفظي، وهناك اتجاهان أساسيان في هذا المجال: الاتجاه الأول وهو الفن كعلاج والذي يعني أن العملية الإبداعية يمكن أن تكون وسيلة للتوفيق بين الصراعات الانفعالية، وتدعيم الوعي بالذات والنمو الشخصي. والاتجاه الثاني وهو الفن كوسيلة للعلاج النفسي وفيه يستخدم المنتج والمعاني المتداعية في جهد لمساعدة الفرد في إيجاد علاقة أكثر انسجاما بين عالمه الداخلي والخارجي" (مصطفى، 1992، صفحة 34).

ويعتبره "فينك" وآخرون Fink et al بأنه "ذلك النظام الذي يمزج عناصر العلاج النفسي مع مصادر الإبداع والتعبير لدى المريض" (Corsini، 1981، صفحة 51).

وترى "روبن" Rubin أنه يشير بصفة عامة إلى "تفهم ومساعدة الفرد من خلال الفن، وذلك عن طريق استخدام الفن كأداة للتنفيس والكشف المتواصل" .(Rubin, 1984, p. 17)

نستخلص من هذه التعريفات أن العلاج بالفن هو عملية منظمة تجمع بين عناصر العلاج النفسي والعمل الإبداعي وذلك باستعمال الوسائط الفنية المختلفة في أنشطة فنية، يستطيع الطفل المصاب باضطراب التوحد من خلالها التعبير عن أفكاره، وتجسيد خيالاته، والتواصل غير اللفظي مع الآخرين، والتنفيس عن مشاعره، والكشف على لا شعوره، والصراعات الداخلية له، وتفريغ طاقاته في شكل عمل فني ينجزه ومن ثم الحديث عنه لتحديد مشكلته والعمل على علاجها.

3. تعريف التوحد الطفولي Childhood-Autism

تبدأ نماذج السلوك التوحدي من الطفولة أو خلال السنوات الأولى من العمر ثم يأخذ سلوك الطفل بالتطور بعد عمر الثلاث سنوات، والتي تظهر في شكل اضطرابات انفعالية وتصرفات غير عادية ناتجة عن إعاقة في النمو الانفعالي الاجتماعي والعاطفي للطفل، والتي تستوجب التعامل معه وتربيته بطريقة خاصة (شاكر الجبلي، 2015، صفحة 14).

وقد عرّف Leo Kanner المختص بالطب النفسي للأطفال والذي يعتبر أول عالم اهتم بدراسة مظاهر التوحد عند الأطفال وأطلق عليه بالتوحد الطفولي المبكر Early Infantile Autism وذلك عام 1945 أنه يقصد به فئة الأطفال الذين يعانون من أحد الاضطرابات الآتية:

- صعوبة تكوين علاقات مع الآخرين والتواصل معهم؛
- نقص في مستوى الذكاء؛
- العزلة والرغبة الشديدة في الابتعاد عن المحيط الاجتماعي؛
- تكرار وإعادة الكلمات والعبارات التي يقولها الآخرون أمامهم؛

- تكرار وإعادة بعض الأنشطة الحركية؛
- اضطرابات في المظاهر الحسية؛
- صعوبة في الكلام أو عدم القدرة على التكلم أو امتلاك اللغة البدائية النغمة الموسيقية؛
- الاضطراب الشديد في السلوك وإحداث بعض الأصوات؛
- ضعف الاستجابة للمثيرات العائلية (Margaret, 1976, pp. 10-12).

وقد عرّف كل من Koegelو Dunlap التوحد الطفولي بأنه الأطفال الذين يشكّلون فئة خاصة تظهر عليها سلوكيات غير اعتيادية، وتعاني من أحد الأعراض الآتية:

- الافتقار إلى اللغة المناسبة؛
- الافتقار إلى السلوك الاجتماعي الملائم؛
- العجز الشديد في الحواس؛
- اضطرابات شديدة في الجانب الانفعالي؛
- أنماط مختلفة من السلوك الحركي المتكرر؛
- انخفاض المستوى الوظيفي للذكاء (Hallahan & Kauffman, 1978, p. 552).

أما Reetvo وFreeman فقد قدّما تعريفا خاصا بالأطفال التوحديون، الذي اعتمدته الجمعية الوطنية للأشخاص التوحديين رسميا، وهو الآن الأكثر قبولا لدى العاملين مع ذوي الاحتياجات الخاصة، لأنه يحتوي على أهم خصائص وصفات الشخص التوحدي الذي تظهر عليه أحد العلامات الآتية:

- اضطراب في سرعة النمو أو مراحله؛
- اضطراب في الاستجابة للمثيرات الحسية؛

- اضطراب في الكلام واللغة والسعة المعرفية؛

اضطراب في التقليد المناسب للأشخاص والأحداث والموضوعات (سليمان، 1999، صفحة 17)

4. تعريف المعالج بالفن Art Therapist

المعالجين بالفن هم أحد طرفي عملية العلاج بالفن، وهم مهنيين ومتخصصين في هذا المجال، تلقوا العديد من التدريبات حول كيفية التعامل مع مختلف الفئات الخاصة التي تعاني من أمراض نفسية معقدة، أو إعاقات عقلية، أو اضطرابات انفعالية معينة، وهم على دراية تامة بمختلف مراحل النمو الإنساني وخصائص كل مرحلة، ومحاطين علميا بالنظريات الأساسية في علم النفس، كما أنهم يتعاملون مع مختلف الفئات العمرية لأفراد المجتمع (أطفال أو بالغين)، ويعملون منفردين أو ضمن فريق علاجي في مجالات متنوعة منها: الصحة النفسية، التأهيل، المراكز الصحية، المدارس، دور المسنين، العيادات الخاصة، ومؤسسات ذوي الاحتياجات الخاصة (القريطي ع.، 2014، صفحة 110).

وهناك جملة من الخصائص التي يجب أن تتوفر في المعالج بالفن، ومجموعة من الصفات التي لا بد أن يتحلى بها أهمها:

- أن يكون دارسا لنظريات الإرشاد والعلاج النفسي وفنياتها؛
- مطلع على مختلف أساليب التشخيص خاصة التي تتخذ من الرسوم أساسا لها؛
- قادر على فهم دلالات الأشكال وتأويل الرموز البصرية في التعبيرات الفنية؛
- فنان إما بالدراسة، أو بالهواية، أو بالموهبة، أي يمارس الفن ويفهم لغته وملم بجميع أنواعه (القريطي ع.، 2014، صفحة 110)؛
- أن يكون ذكي ومتفتح وقادر على توجيه الذات والابتكار؛

- يجب أن يتصف عموما بالمشاركة الوجدانية حتى يحس بمشكلات مرضاه واضطراباتهم؛
- يجب أن يكون المعالج صحيحا نفسيا وألا يكون معالجا مريضا (عبد الله البريكان، 2020، صفحة 127).

5. تعريف العلاج بالموسيقى Music Therapy

يقصد به التعامل مع فئة معينة من أفراد المجتمع تعاني من اضطرابات نفسية ما من خلال وضع أهداف علاجية لحل مشكلاتهم والتغلب عليها وتجاوزها، والوصول إلى حالة التوافق والصحة النفسية، ويقوم العلاج بالموسيقى على أساس أنها علم وفن وعلاج في نفس الوقت، لها القدرة على التأثير في الحالة النفسية والجسمية والسلوكية بصفة عامة، فهي لغة عالمية شائعة ذات إمكانيات تعبيرية واسعة بعناصرها (اللحن والتآلف والإيقاع)، ولها أثر فيسيولوجي وأثر انفعالي وأثر اجتماعي عقلي وأثر تربوي (زهران، 2001، الصفحات 387-388).

وهو ما يجعل الموسيقى الفن الوحيد الذي يمكن أن يحسه ويشعر به الأطفال المصابون باضطراب التوحد، لأنها "تتضمن في حد ذاتها عاملا طبيعيا صرفا أشبه بالتيار الكهربي من شأنه أن يؤثر على الأعصاب، بغض النظر عن مستوى النمو ونسبة الذكاء وهو الأمر الذي يجعل التوحديون أن المتخلفين عقليا يقبلون على الموسيقى أكثر من أي أنشطة أخرى، فضلا على أن الطفل التوحدي يميل إلى الموسيقى وينجذب إليها (عبد الله ، 2005، الصفحات 3-4).

وتَعتبر الجمعية الأسترالية العلاج بفن الموسيقى عملية منظمة يتم التخطيط لها مسبقا، من خلال وضع برنامج يتضمن أهداف علاجية محددة للأشخاص المصابين

بأمراض نفسية، ولديهم احتياجات خاصة ناتجة عن مشكلات ذهنية وبدنية وانفعالية، خاصة فئة الأطفال (فاروق و الشربيني، 2011، صفحة 208).

وهو ما تؤكده الجمعية الأمريكية للعلاج الموسيقي في تعريفها له، حيث تعتبره علاج مخطط ومدروس من طرف متخصصين، يستهدف فئة معينة من الناس تعاني من أزمات نفسية معينة تختلف أسبابها من شخص لآخر، يتم فيه تحديد المشكلة الأساسية التي يعاني منها المصاب، والتعرف على نقاط قوته وضعفه عند مجالسته، واستخدام الخبرات الموسيقية في تدريبه لإحداث تغييرات إيجابية في مهاراته، وأفكاره ومشاعره وسلوكياته (فاروق و الشربيني، 2011، صفحة 208).

ويستند هذا النمط العلاجي على افتراض أن كل فرد لديه في الأصل استجابة فطرية للموسيقى حتى لو كان يعاني من إعاقة جسمية أو عقلية أو انفعالية أو غيرها، الاختلاف يكون في ردة الفعل الأولية لكل حالة، ومدى تفاعلها مع الموسيقى، والمدة الزمنية المستغرقة في ذلك. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نلجأ لهذا النوع من العلاج للطفل المصاب بإضراب التوحد، لأنه يسمح بتكوين علاقة جيدة مع معالجه تشبه علاقته بأمه، فالمعالج يتعامل في الأساس مع إيقاع نبضات القلب، أو ذلك اللحن الموجود في الصوت، وهو ما يؤكد على أن الموسيقى أو النزعة الموسيقية تعد خاصية إنسانية أصيلة (عادل، 2008، صفحة 132).

ونظرا لأن الموسيقى بذلك تعتبر متأصلة في كياننا يصبح بإمكاننا "عن طريق العمل على تحرير القيود الموسيقية للفرد، ومقاومته التي يبديها لها، ودفاعاته، وعن طريق التركيز على جوانب القوة التي تميز تلك العناصر والمكونات والتراكيب الموسيقية التي تتكون لديه في إطار علاقة ارتجالية فإننا بذلك نعمل بشكل تلقائي في سبيل تحسين وتطوير

وتنمية جوانب نموه المعرفية والجسمية والعصبية والانفعالية والحد بالتالي من جوانب القصور التي تعتريها" (عادل، 2008، صفحة 132).

1.5. أنماط العلاج بالموسيقى للأطفال التوحديون

يتضمن العلاج بالموسيقى أكثر من نمط واحد شأنه في ذلك شأن العلاج النفسي، فقد يكون فرديا أو جماعيا كما يلي:

- **العلاج الفردي بالموسيقى Individual Music Therapy:**

يتميز هذا النمط العلاجي بالتفاعل بين المعالج والطفل المصاب باضطراب التوحد، حيث يقوم بتعديل بعض استجاباته وسلوكياته في إطار الخبرات الشخصية الفردية للمريض.

- **العلاج الجماعي بالموسيقى Group Music Therapy:**

يتميز هذا النمط العلاجي بالتفاعل بين المعالج والأطفال المصابين باضطراب التوحد المشاركين فيما بينهم وتقرّبهم من بعضهم البعض أثناء تدريبهم على الأنشطة الموسيقية المختلفة، أي خلال تلقيهم للعلاج الذي قد يكون في شكل عزف جماعي، أو غناء جماعي، أو كليهما معا، الأمر الذي يثير حماسهم، ويرفع الروح المعنوية لهم، ويعمل على تنشيط قدراتهم العقلية وحياتهم الانفعالية (أسامة علي، صفحة 138).

2.5. برنامج العلاج بالموسيقى وإعادة التأهيل للأطفال التوحديون

تساعد الموسيقى المعالج على كسب ثقة الطفل المصاب باضطراب التوحد، ووضعه في الحالة المزاجية المناسبة، كما أنها تسهل عملية علاجه لأنها تقربهما من بعضهما. وبما أن العلاج بالموسيقى هو المهارة في استعمال العناصر الموسيقية من طرف معالج مؤهل، فإن هذا النمط العلاجي يعمل على الجمع بين الموسيقى والخصائص الشخصية للمعالج في سبيل إعادة تأهيل أولئك الأطفال المصابين باضطراب التوحد وذوي

الاحتياجات الخاصة الانفعالية، والاجتماعية، والمعرفية والروحية والنفسية والجسمية، والإبقاء على حياتهم وتحسينها من خلال تحقيق جملة من التغيرات الإيجابية في سلوكياتهم المختلفة، واستخدام الموسيقى كأداة تشجع على حدوث النمو في جوانبهم الاجتماعية الانفعالية، والمعرفية، والحس حركية (عادل، 2008، صفحة 165).

وهناك العديد من الفوائد التي يمكن أن يحققها العلاج بالموسيقى للطفل غير العادي في سبيل إعادة تأهيله كي يتمكن من الانخراط مع الآخرين في المجتمع والاندماج معهم إذ يعمل هذا النمط العلاجي في هذا الإطار على تحقيق العديد من الأمور من أهمها ما يلي:

- تساعد الموسيقى كشكل من أشكال التواصل غير اللفظي على تحسين التواصل بين الطفل المصاب باضطراب التوحد وأفراد المجتمع الذي يعيش فيه؛
- تعتبر الموسيقى معزز طبيعي لاستجابات الطفل المصاب باضطراب التوحد؛
- أنها توفر للطفل المصاب باضطراب التوحد الإثارة اللازمة له كي يمارس المهارات غير الموسيقية؛
- أنها وسيلة ناجحة للتفاعل نظرا لأن كل طفل مصاب باضطراب التوحد يستجيب بشكل إيجابي لنوع معين منها على الأقل؛
- أنها تعتبر أسلوبا غير تهديدي وهو ما يشجعه على التفاعل الاجتماعي (عادل، 2008، صفحة 165).

وإذا كان اضطراب التوحد يتميز بوجه عام بوجود قصور في التفاعل الاجتماعي، ومهارات التواصل، والحساسية المتطرفة للمثيرات الحسية المختلفة كاللمس والصوت، والانشغال بالسلوكيات والاهتمامات النمطية والتكرارية والمقيدة فإن الدراسات والأبحاث التي تم إنجازها في هذا الصدد قد أكدت على أن الأطفال المصابين باضطراب التوحد يتميزون في الغالب باستجابتهم الفعالة للموسيقى مقارنة مع غيرهم من الحالات، لما لها

من تأثير إيجابي على تحسين نفسيتهم، والذي يُترجم في سلوكياتهم وأفعالهم التي تعكس مدى سعادتهم واستمتاعهم بها، وأن العلاج بالموسيقى يساعد على تحسين تآزرهم البصري الحركي، وتطوير مهارات التواصل فيما بينهم، وتنشيط قدراتهم الذهنية، وتقوية انتباههم للمثيرات المختلفة، وتلبية حاجاتهم وإشباع رغباتهم، وتحسين جودة حياتهم بصفة عامة، وهو الأمر الذي يساهم بشكل فاعل في إعادة تأهيلهم كي يتمكنوا من الانخراط في مجتمعهم والاندماج مع مختلف أفراده (عادل، 2008، صفحة 166).

وبالتالي فإن برامج التدخل التي تقوم على العلاج بالموسيقى يتم تصميمها، وتقديمها وتنفيذها لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية:

- إدخال السعادة والسرور على نفسية الأطفال المصابين باضطراب التوحد وتحسين جودة حياتهم؛
- التحكم في قلقهم، والتقليل من توترهم، والمساعدة على تحدي الصراعات الداخلية التي قد يعانون منها؛
- التعبير عن مشاعرهم، وتلبية حاجاتهم الوجدانية بصفة عامة؛
- تخفيف حدة الآلام أو الأوجاع التي يشعرون بها، وتحقيق رفاهيتهم؛
- التركيز على نقاط قوتهم والعمل على تنميتها أي الانطلاق منها لإعادة التأهيل؛
- تقوية الذاكرة عن طريق العناصر الموسيقية المختلفة؛
- تحسين مستوى التواصل سواء اللفظي أو غير اللفظي؛
- المساهمة في إقامة التفاعلات الاجتماعية والحد من أوجه القصور الاجتماعي؛
- المساعدة في تحقيق التأهيل البدني؛
- إعادة تأهيلهم (عادل، 2008، صفحة 167).

وبالرغم من إمكانية استخدام العلاج بالموسيقى مع الكثير من الفئات الخاصة مثل حالات الإعاقة العقلية، الجسمية، أو الانفعالية وغيرها، إلى أنه يتميز بفاعليته ونجاحه مع حالة اضطراب التوحد على وجه التحديد والتخفيف من حدة أعراضه على المرضى، وتحقيق العديد من النتائج الإيجابية والملفتة والتي قد ترجع إلى ميل أعضاء هذه الفئة للموسيقى وانجذابهم إليها واهتمامهم بها.

3.5. أساليب العلاج بالموسيقى للأطفال التوحديون

إن العلاج بالموسيقى للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة بوجه عام والأطفال التوحديين بصفة خاصة يقوم على أربعة أساليب أساسية تساهم في الحد مما يعانونه من أعراض مرضية، وفي إعادة تأهيلهم هي:

- **الغناء:** سواء غناء فردي يقوم فيه الطفل التوحدي بالأداء لوحده، أو غناء جماعي يكون في شكل فريق يجمع المرضى مع معالجهم؛
- **العزف على مختلف الآلات الموسيقية:** يساعد كل نوع منها على علاج نقص معين يعاني منه الطفل التوحدي، وهو ما يُنمي ثقته بنفسه، يقوي شخصيته، يرفع من روحه المعنوية، يزيد من توازنه، يُحسّن آداءه لمختلف الحركات الفردية أو الجماعية وأنماط التنفس واسترخاء العضلات؛
- **الارتجال:** يسمح للطفل التوحدي بالتعبير عن مختلف مشاعره بطريقة غير لفظية، كما أنه يساعد على تقوية علاقته مع معالجه وكسب ثقته، وكذا تفاعله مع غيره من الأفراد؛
- **الإنصات:** يساعد على تطوير المهارات المعرفية كالانتباه والذاكرة وغيرها؛
- ومن جانب آخر فإن العلاج بالموسيقى يُحفز الطفل التوحدي على التكلم واستعمال المفردات اللغوية المختلفة في التعبير عن آرائه أي أنه يساعده على التواصل

اللفظي، لأن التكلم بالنسبة للطفل التوحدي يتراوح في الواقع بين عدم التحدث مطلقا إلى النخير (إصدار أصوات غير مفهومة) والصياح والصرخات الانفجارية والأصوات البلعومية أو الحنجرية التي يتم نطقها من البلعوم أو الحنجرة والطنين أو الدندنة (عادل، 2008، الصفحات 168-169).

4.5. فوائد العلاج بالموسيقى للأطفال التوحديون:

تساعد الموسيقى الطفل المصاب لاضطراب التوحد على تنشيط وتنمية قدراته اللغوية، والاجتماعية، والانفعالية، والمعرفية، والحركية، كما يلي:

❖ **نمو اللغة والكلام:** يتم من خلال:

- العزف على آلات النفخ الموسيقية، ومحاولة تقليد التمرينات الحركية الشفوية لتقوية الوعي بالشفتين واللسان والفكين والأسنان وتحسين استعمالها؛
- تمرينات التلفظ، وتتمثل في الغناء سواء لحروف ساكنة أو متحركة، وتعلم كيفية ضبط عملية التنفس؛
- الإكثار من استعمال الكلمات والجمل المنغمة التي تساعد على اكتساب وصدور اللغة التعبيرية.

❖ **النمو الاجتماعي والانفعالي:** يتم من خلال:

- تساعد الآلة الموسيقية على التواصل الجيد بين المعالج والطفل في الوقت الذي يرفض فيه أي محاولة للتفاعل الاجتماعي؛
- يتعلم الطفل أن يكون عضوا في مجموعة موسيقية وهو يجعله يتقبل وجود الآخرين في حياته بالقرب منه والاحتكاك بهم والتسامح في حدوث تلامس جسدي معهم.

❖ **النمو المعرفي:** يتم ذلك من خلال:

- تفيد الأغاني والترانيم في تعليم الطفل المزاوجة، والمفاهيم اللغوية، وصورة الجسم، ومهارات مساعدة الذات؛
- يساعد الغناء الذي يرافقه نقر بالجسم على تقوية الذاكرة السمعية الحركية.

❖ **النمو الحركي:** يتحقق من خلال:

- يسمح بتنظيم وضبط الحركات الجسدية المختلفة؛
- يشجع الأداء الموسيقي العلاجي باستعمال آلة معينة على نمو المهارات الحركية العامة والدقيقة (عبد الله ، 2005، صفحة 171).

6. العلاج بالرسم Drawing therapy

العلاج بالرسم هو نوع من العلاجات النفسية التي يحقق فيها المريض التواصل مع الآخرين ويعكس مشاعره الداخلية في شكل رسومات متنوعة، ومن خلال مناقشتها وتأويلها يستبصر المريض بذاته، ومن ثم التقدم في العلاج.

وقد عرّفه Mok بأنه "عملية خلق إبداعي مرئي، والفحص والترجمة اللفظية لهذا الإبداع، يسهل من الوعي والنمو المعرفي والانفعالي في الجلسة العلاجية" (جاكوب ليفي ، 2018، صفحة 159).

يعتبر الرسم وسيلة فعالة في التعبير عن أفكار ومشاعر ومخاوف وتخيلات الطفل التوحدي، وهو بديل عن اللغة المنطوقة، حيث يسمح له بالتواصل غير اللفظي مع المعالج وتبادل الأفكار والمعاني فيما بينهما، فالإنسان بطبيعته له القدرة على أن يحوّل الأفكار إلى صور بالقدر الذي يمكن فيه أن يحوّل الصور إلى أفكار وكلمات، ويتم ذلك من خلال ما ينجزه من أعمال فنية تعكس طبيعة حالته النفسية باعتباره شكل من أشكال التنفيس، والتي تتمثل في مجموعة من الخطوط والألوان والأشكال البسيطة التي تحمل كل منها دلالات

معينة تساعد على فهم سلوكياته وشخصيته بصفة عامة (عبد الله البريكان، 2020، صفحة 242).

فقد أثبتت الدراسات النفسية التحليلية للأطفال أننا نستطيع من خلال الرسومات التي يقوم بها الطفل التوحدي التسلل إلى لا شعوره، والكشف عن صراعاته الداخلية، وتحديد مشكلاته وما يعانيه، والتعرف على ميوله واتجاهاته ومدى اهتمامه بموضوعات معينة في البيئة التي يعيش فيها، وعلاقته بالآخرين سواء في الأسرة أو خارجها (عبد الله البريكان، 2020، صفحة 243).

مع العلم أن الأعمال الفنية التي يقدمها الأطفال التوحديون هي أعمال بسيطة ولا تحتاج إلى مهارات وقدرات فنية كبيرة، وهو ما يساعد على تحسين حالتهم البدنية والعقلية والانفعالية، ويؤدي إلى تطوير وتنمية مهارات التفاعل بين الأشخاص وتقليل الضغوطات والمشكلات التي يعانون منها، كما يزيد أيضا من تقدير الذات، والوعي بالذات، وتحقيق الاستبصار، ومن ثم تحسين العلاقات بين أفراد الأسرة والآخرين والمجتمع بشكل أكثر توافقا (جاكوب ليفي ، 2018، صفحة 159).

1.6. فوائد تحليل رسومات الأطفال التوحديون

نستفيد من تحليل الأعمال الفنية والرسومات التي يقدمها الأطفال التوحديون الكثير من الأمور أهمها:

- توضّح لنا هذه الرسومات تصرفات الطفل التوحدي وحركاته أثناء إنجازها وعند إكمالها وتقديمها، لأن سلوكه له دلالة معينة؛
- كل جانب من السلوك له سببه ودلالته، فالسلوك لا يحدث جزافا على اعتبار أن كل رسم أو عرض أو خيال أو فعل له تاريخه الذي نشأ عنه؛

- تبيّن لنا مختلف التعبيرات اللفظية التلقائية والأصوات التي يصدرها الطفل التوحدي، وسؤاله عما رسم وملاحظة تعابير وجهه وحركات جسمه؛
- تُظهر لنا مدى توافق الطفل التوحدي الاجتماعي ورغباته ومشكلاته الانفعالية؛
- تعكس لنا الاسقاطات اللاشعورية للطفل التوحدي، وكذا الميكانيزمات والأنشطة التي دفعته لرسم ما رسمه؛
- الرسم إسقاط مفهوم الذات أو صورة الجسم أو اتجاهاته نحو شخص آخر أو الصورة النموذجية للذات؛
- الخروج بدلالات ديناميكية تظهر مدى تأثير القدرة العقلية بالعوامل الانفعالية أو العضوية وتجديد النمط العقلي السائد للنضج العقلي والطريق المحتمل لاضطراب الشخصية؛
- كل وحدة مرسومة تُظهر الارتباطات الشعورية واللا شعورية للطفل التوحدي، فالمنزل يثير ارتباطاته بمنزله، والأشجار تثير ارتباطه بالحياة وحبه للطبيعة، والأشخاص يمثلون علاقاته بالآخرين الشخصية (عبد الله البريكان، 2020، الصفحات 163-164).

2.6. تفسير العمل الفني الذي ينجزه الطفل التوحدي

إن تفسير العمل الفني هو أهم مرحلة في جلسات العلاج بالفن مهما كان نوعه، لأنها المرحلة التي يستطيع فيها المعالج أن يُشخص حالة المريض ويفهم مشكلته جيدا، فيبدأ تفسير المنتج الفني الذي قدّمه المريض التوحدي بعد الانتهاء من إنجازه مباشرة، أين يطلب منه المعالج الحديث عنه وتفسيره، وبعد ذلك أي عند انتهاء الجلسة العلاجية يقوم المعالج بوضع تفسيره الخاص، والذي يستقيه من تفسير المريض لعمله، وفي ضوء مجموعة من الملاحظات والاعتبارات التي يجب أخذها بعين الاعتبار إلى جانب خصائص

العمل الفني المختلفة حتى يكون التفسير متكاملا وموضوعيا (مصطفى محمد و أحمد فراج، 2021، صفحة 67)، نذكر أهمها:

– السلوك اللفظي للطفل التوحدي خلال الجلسة العلاجية والكلام الذي يقوله بشكل عفوي وتلقائي والذي يعكس في أغلب الأحيان حقيقة ما يشعر به في ذلك الوقت، بالإضافة إلى الطريقة التي يتكلم بها من حيث السرعة، درجة الصوت، حدة الانفعال، نبرة الصوت التي تبين خوفه أو مدى اهتمامه...أو غير ذلك؛

– السلوك غير اللفظي للطفل التوحدي خلال الجلسة العلاجية والذي يتمثل في مختلف الحركات الجسمية والأفعال التي يقوم بها، وطبيعة نظراته لمعالجه التي قد تكون نظرة استئذان أو عتاب أو استحسان...وغيرها؛

– طريقة أداء الطفل التوحدي لعمله الفني وكيفية استجابته مع ما هو مطلوب منه، لأنها تكشف عن مستويات الطاقة بداخله وتعطي انطباعا عن أسلوبه في التعامل مع الأشياء الجديدة أو المبهمة التي تقابله، فكل طفل يُمثل حالة معينة وكل حالة تختلف عن الأخرى من حيث الاستجابة عند اختيار الخامات أو الأدوات التي يحتاجها وكيفية استعماله لها، فهناك من يستجيب بشكل سلبي ويتعامل مع هذه المواد بعدوانية أو عشوائية؛

– معرفة الأحداث الحياتية الحالية للطفل التوحدي لأنها توفر معلومات مهمة جدا حول الظروف الاجتماعية والنفسية له وعلاقته بأهله، والتي تساعد المعالج كثيرا وتدعمه في عملية التفسير؛

– استعراض العمل الفني للطفل التوحدي ومقارنته مع الأعمال الفنية التي قدّمها من قبل خلال الجلسات العلاجية السابقة، بهدف تحديد مدى التغير أو التقدّم الذي أحرزه، ومدى استجابته مع العلاج بالفن (مصطفى محمد و أحمد فراج، 2021، صفحة 68).

7. خاتمة

من خلال ما تقدّم نستخلص أن العلاج بالفن سواء فن الموسيقى أو فن الرسم قد أثبت فعاليته بالنسبة للأطفال التوحديون، وذلك عن طريق تنظيم العديد من الجلسات العلاجية التأهيلية من طرف معالجين متخصصين، وباتباع برنامج خاص وهادف ومخطط له مسبقا، يتضمن كيفية التعامل مع هؤلاء الأطفال كفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة عن طريق استخدام الفن ومحاولة التعرف عن ردود أفعالهم واستجابتهم السلوكية. فقد توصلنا إلى:

- أن استراتيجية العلاج بالفن تُشجّع الطفل التوحدي على التعبير بطريقة رمزية غير كلامية عن نفسه أي أنه يستعمله كبديل عن اللغة، وهو ما يجعل هذا النمط العلاجي مناسبا جدا مع أفراد هذه الفئة التي تعاني من صعوبة في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم لفظيا؛
- أن إبداع الأطفال التوحديون للأعمال الفنية، وتفسير الأعمال الفنية التي أبدعها يساعدهم كثيرا في تطوير قدراتهم المعرفية والحركية، وتنمية إدراكهم الحسي من خلال تنمية إدراكهم البصري عن طريق الإحساس باللون والخط والمسافة والبعد والحجم واللمس عن طريق ملامسة السطوح؛
- تنمية مهاراتهم في استخدام الخطوط والألوان والأشكال وتمكينهم من التعبير عن عالمهم الداخلي وبيئتهم المحيطة ومساعدتهم على تنظيم الحقائق بصورة أكثر وضوحا عن طريق اللغة الشكلية، وتعلمهم كيفية استثمار نصائح وارشادات المعالج في بناء ذات قوية؛
- أن استخدام العلاج بالفن يعزز التناسق بين اليد والعين من خلال الرسم بالقلم وبالألوان؛

- أن استخدام فن الرسم والموسيقى مفيد جدا في تحسين التكامل الحسي لأنهما يستطيعان توفير تنبيه لمسي وبصري وسمعي في محيط مضبوط؛
- تنمية إدراكهم السمعي من خلال الاستماع للموسيقى وسماع الأغاني وغناؤها بشكل فردي أو ضمن فريق جماعي الذي يساعد على تطوير النطق وفهم الكلام، كما يساعد تعلم العزف على آلة معينة الطفل على فترة التركيز وزيادة تركيزه؛
- أن العلاج بالفن هو أفضل وسيلة لانخراط واندماج الأطفال التوحديون في المجتمع وبالتالي تحقيق تواصلهم مع الآخرين.

8. الهوامش والمراجع

[1] حامد عبد السلام زهران، (2001). الصحة النفسية والعلاج النفسي، الإصدار ط3. القاهرة: عالم الكتب.

[2] سوسن شاكر الجبلي، (2015). التوحد الطفولي، أسبابه، خصائصه، تشخيصه، علاجه (الإصدار د.ط)، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

[3] عادل عبد الله، (2005)، العلاج بالموسيقى كاستراتيجية علاجية تنموية للأطفال التوحديين، المؤتمر العلمي الأول لكليتي الحقوق والتربية النوعية، بجامعة الزقازيق.

[4] عبد الرحمان سيد سليمان، (1999)، الذاتوية: إعاقة التوحد لدى الأطفال الإصدار ط1، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

[5] عبد العزيز حسن مصطفى محمد، وعفاف أحمد فراج، (2021)، العلاج بالفن واتجاهات البحث العلمي فيه وتطبيقاته في مجال الفن التشكيلي، الإصدار د.ط، د.ب: مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، دار الرشاد للنشر والتوزيع.

[6] عبد الله محمد عادل، (2008)، العلاج بالموسيقى للأطفال التوحديين، أسس وتطبيقات، الإصدار د.

[7] عبد المطلب القريطي. (1995)، مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال، الإصدار د.ط، القاهرة، دار المعارف.

[8] عبد المطلب أمين القريطي، (2014)، إرشاد ذوي الاحتياجات الخاصة وأسرهم، المنهل.

[9] محمد أحمد أسامة علي، فاعلية الأنشطة الموسيقية المتنوعة لتنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية، مجلة علوم وفنون الموسيقى.

[10] محمد العزيز مصطفى، (1992)، الفن وذوي الاحتياجات الخاصة، د.ب: مكتبة الأنجلو المصرية.

[11] مصطفى فاروق، و كامل السيد الشربيني، (2011)، التوحد، الأسباب، التشخيص، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

[12] مها عبد الله البريكان. (2020). العلاج بالفن كمدخل للصحة النفسية (الإصدار ط1). بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.

[13] مورينو جاكوب ليفي، (2018)، السيكودراما، أحمد خطاب محمد، المحرر، مكتة الأنجلو المصرية.

[14] Hallahan, D. & Kauffman, J. (1978). Exceptional children introduction to special education. dill-inc: prentice.

[15] Margaret, P. (1976). An approach to teach autistic children. London: pergamon.

[16] Ramond Corsini. (1981) .Handbook of innovate Psychotherapies .New York: John Wiley and Sons.

[17] Rubin, J. (1984). Child Art Therapy (éd. 2 Ed). New York: Van Nostrand Reinhold.